

استثمار مبادئ البيداغوجيا الفارقية والمقاربة بالكفاءات في الإصلاحات التربوية بالجزائر وتجلياتها في الكتب المدرسية

"كتاب اللغة العربية للسنة الرابعة ابتدائي أنموذجاً".

The exploitation of pedagogic differential principles and the competency-based approach in educational reforms in Algeria and their manifestations in schoolbooks,
"The 4th year primary school book as a model."

د. نبيلة قريني¹

جامعة 8 ماي 1945 قالمة - الجزائر -

nabilaallae2008@gmail.com

تاريخ الوصول 2023/11/09 القبول 2024/01/22 النشر على الخط 2024/03/15

Received 09/11/2023 Accepted 22/01/2024 Published online 15/03/2024

ملخص:

يهدف الإصلاح التربوي إلى النهوض بالعملية التعليمية التعلمية، وتكوين قدرات علمية وتقنية متميزة. وفي سبيل تحقيق ذلك، استثمر القيمون على الإصلاح التربوي علومًا ومعارفَ عديدة تتصل اتصالًا مباشرًا أو غير مباشر بالتربية والتعليم. لعل أهمها "البيداغوجيا الفارقية"، والتي تُعنى أساسًا بإيجاد حلول إجرائية وعملية للحد من الفوارق المتعددة بين المتعلمين كمًّا وكيفًا، وكذا المقاربة بالكفاءات من حيث هي خيار بديل عن المقاربة بالأهداف.

ويسعى المقال إلى الوقوف على مدى استثمار مبادئ البيداغوجيا الفارقية، وكذا المقاربة بالكفاءات في الإصلاحات التربوية للجيل الثاني في مرحلة التعليم الابتدائي، وكذا استظهار مدى اعتماد تلك المبادئ في صياغة محتوى الكتب المدرسية، متّخذين كتاب اللغة العربية للسنة الرابعة ابتدائي أنموذجًا.

الكلمات المفتاحية: البيداغوجيا الفارقية-المقاربة بالكفاءات-الكتاب المدرسي-المرحلة الابتدائية-الإصلاحات التربوية.

Abstract:

Educational reform aims at promoting the educational process and building competent scientific and technical capacities. In order to achieve these goals, persons in charge of educational reform invested several sciences and knowledge. The most important may be "differential pedagogy" which is mainly concerned with finding procedural and practical solutions to reduce the multiple differences between learners, both in quantity and quality.

Through this work, we will try to accentuate the extent to which the principles of differential pedagogy are invested in the educational reforms. Also, we will attempt to demonstrate the extent to which above principles are adopted in formulating the content of the book of Arabic language for the 4th year primary school as model.

Keywords: differential pedagogy-the competency-based approach -the schoolbook -primary school-educational reforms.

1. مقدمة :

يهدف الإصلاح التربوي إلى النهوض بالعملية التعليمية التعلمية، وتكوين قدرات علمية وتقنية متميزة؛ بحيث لا يقتصر التعليم على تدريس محتويات معرفية وتنمية مهارات متعددة للمتعلمين فحسب. بل يسعى إلى إكسابهم كفاءات يتمكنون من توظيفها في ممارساتهم المدرسية والاجتماعية والمهنية.

وفي سبيل تحقيق هذه الأهداف وأخرى، استثمر القيمين على الإصلاح التربوي علومًا ومعارفَ عديدة تتصل اتصالًا مباشرًا أو غير مباشر بالتربية والتعليم. لعل أهمها "البيداغوجيا الفارقية"، والتي تُعنى أساسًا بإيجاد حلول إجرائية وعملية للحدّ من الفوارق المتعددة بين المتعلمين كمًّا وكيفًا، كما انتهجت خيارا البيداغوجيا جديدًا وهو التحول من المقاربة بالأهداف إلى المقاربة بالكفاءات. وقد ظهرت هذه الإصلاحات في جوانب عديدة من مكونات العملية التعليمية أهمها ما ظهر في صياغة محتوى الكتب المدرسية، وتكييفها أساسًا وفق مبادئ المقاربة بالكفاءات.

وانطلاقًا من هاته الإصلاحات المفترضة جاء مقالنا ليحاول الإجابة عن الإشكالية الآتية: ما مدى استثمار مبادئ البيداغوجيا الفارقية، وكذا المقاربة بالكفاءات في الإصلاحات التربوية للجيل الثاني في مرحلة التعليم الابتدائي؟ وماهي أهم تحدياتها في صياغة محتوى الكتب المدرسية، لا سيما كتاب اللغة العربية للسنة الرابعة ابتدائي؟

وانطلقت الدراسة من فرضية رئيسة مفادها: يستوفي الكتاب المدرسي كلّ مبادئ المقاربة بالكفاءات من حيث كونها الخيار البيداغوجي المنتهج في المناهج الجديدة، وكذا يُفترض استيفاء مبادئ البيداغوجيا الفارقية، على اعتبار أن مؤلفي الكتاب يسعون إلى إعداد وسيلة عملية ومسهّلة تربوي أساسي، يُترجم من خلاله المنهاج الذي أقرته وزارة التربية الوطنية ترجمة صحيحة، وهو الوسيلة التعليمية الرئيسة التي يعول عليها المعلم والمتعلم على حدّ سواء.

كما نفترض مسبقًا أن نصوص الكتاب ولغته تتناسب مع المستوى اللغوي والعقلي لمتعلمي السنة الرابعة ابتدائي، وكذا الحجم الساعي، على اعتبار أن هاته المعطيات من أهم ما تدعو إليه البيداغوجيا الفارقية بما يمكن المتعلمين من التحصيل المثالي كل حسب قدراته، وخصائصه النمائية.

وللإجابة عن الإشكالية المطروحة، والتحقق من الفرضيات ارتينا أن يكون عملنا موزعًا على قسمين نظري وتطبيقي. فأما النظري فعرضنا فيه لمفهوم البيداغوجيا الفارقية وأهم مبادئها، وكذا المقاربة بالكفاءات وأهم مفاهيمها، ثم نقاط التوافق بينهما، وفي الجانب التطبيقي حاولنا رصد أهم المبادئ التي تضمنها كتاب اللغة العربية للسنة الرابعة ابتدائي، مستندين إلى نصوص واردة فيه. واتبعنا في عملنا المنهج الوصفي، مع الاستعانة بآليات التحليل والمقارنة.

وهدفنا الأساس هو تلمس أهم مظاهر مبادئ البيداغوجيا الفارقية، وكذا المقاربة بالكفاءات في صياغة محتوى الكتب المدرسية، لا سيما كتاب اللغة العربية للسنة الرابعة ابتدائي، والتنبيه على المعطيات المضمنة في الكتاب والتي تتعارض مع مبادئ هاتين المقاربتين.

ويأتي مقالنا تنمة لجهود عدد من الباحثين الذين ناقشوا جزئيات تتعلق بالإصلاحات التربوية في الكتاب المدرسي من جهة، والبيداغوجيا الفارقية في التدريس من جهة أخرى، دون الجمع بينهما، ومن الدراسات التي وقفنا عليها:

1- مقال معنون ب: بيداغوجيا المقاربة بالكفاءات في الممارسة التعليمية، وهو للأستاذتين: رحيمة شرقي، بوساحة نجاة، نشر بمجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ورقلة، الجزائر، ع4، 30 جوان 2011م. وقد اعتمدناه ضمن مراجع البحث في الجانب النظري.

2- مقال موسوم بـ: صعوبات تطبيق البيداغوجيا الفارقية في التدريس بالمقاربة بالكفاءات، للباحثين: بوسنة فطيمة، وشريفي هناء، نشر بمجلة التربية والصحة النفسية، جامعة الجزائر 02، المجلد 5، العدد 02، 2020.

ناقشت فيه الباحثان صعوبات تطبيق البيداغوجيا الفارقية في ظل التعليم وفق خيار المقاربة بالكفاءات، ونعدّ عملنا مكتملا لهذا المقال؛ لأنه يستجلي نقاط التوافق بين المقاربتين، التي قد يوهم عنوان المقال المذكور أن بينهما قطيعة لا التقاء فيها.

3- مقال بعنوان: كتاب اللغة العربية في ظل الإصلاحات التربوية "السنة الرابعة ابتدائي أنموذجاً"، للأستاذين: زهية حيتة، والسعيد بن إبراهيم، وهو منشور في مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة باتنة 1، الجزائر، المجلد 14، العدد 02، 2021، واقتصر فيه الباحثان على توصيف الكتاب المدرسي شكلا ومضمونا قياسا بكتاب الجيل الأول، دون التعرّيج على المقاربة بالكفاءات ولا البيداغوجيا الفارقية، وأهم ما ورد فيه تحليل مضمون الكتاب من حيث نمط النصوص، وعددها، ولغتها بين العامية والفصحى، والقيم الهوياتية المضمنة في الكتاب، وهو يتقاطع مع عملنا في جوانب عديدة-استثمرنا بعض نتائجه في ثنايا الجانب التطبيقي- إلا أن عملنا حلّل هاته المعطيات في ضوء ارتباطها بالبيداغوجيا الفارقية والمقاربة بالكفاءات، ولعلّ هذا ملمح الجدة فيه.

2. مفهوم البيداغوجيا الفارقية:

البيداغوجيا الفارقية: مصطلح مركب تركيبيا وصفيا من كلمتين "البيداغوجيا" والصفة "الفارقية". واستجلاءً لمدلولها ينبغي أن نعرّج أولا على مفهوم البيداغوجيا عامة، ثم التفصيل في بيداغوجيا الفروق من حيث هي فرع عنها.

1.2 مفهوم البيداغوجيا:

البيداغوجيا مصطلح معرّب من أصل يوناني، تتكون من مقطعين؛ فأما الأول منهما فيعني "طفل"، وأما الثاني فيعني "علم"، وعند جمع المقطعين يصبح المعنى الكامل للمصطلح هو "علم تربية الطفل".¹
وتعني "البيداغوجيا في دالاتها اللغوية: تهذيب الطفل وتأديبه وتأطيره وتكوينه وتربيته"²
والبيداغوجيا هي "جملة الأنشطة التعليمية-التعليمية التي تتم ممارستها من قبل المعلمين والمتعلمين".

2.2 مفهوم البيداغوجيا الفارقية:

تعدّ البيداغوجيا الفارقية فرعا من فروع البيداغوجيا المكتملة لها، تدرس الفروق الفردية بين المتعلمين، وتجعلهم يتحكمون في الأهداف المرجو تحقيقها.
وجاءت لتهتم -أساسا- بالطفل المتمدرس من خلال إيجاد حلول إجرائية وتطبيقية وعملية للحد من الفوارق المختلفة والمتنوعة بين المتعلمين كما وكيفا، سواء أكانت هذه الحلول نفسية أم اجتماعية أم بيداغوجية أم ديداكتيكية أم معرفية.³

¹ رحيمة شرقي، بوساحة نجا، بيداغوجيا المقاربة بالكفاءات في الممارسة التعليمية، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ورقلة، الجزائر، ع4، 17 جانفي 2011م، ص53.

² جميل حمداوي، مكونات العملية التعليمية التعلمية، شبكة الألوكة، ط1، 2015، ص5.

³ - جميل حمداوي، البيداغوجيا الفارقية، مكتبة المثقف، الجزائر، ط1، 2015، ص7.

ويعدّ "لويس لوكران" (louis Legrand) أول من استخدم مصطلح البيداغوجيا الفارقية سنة 1973، محاولة منه لتطبيق ما توصّل له علم النفس الفارقي في المجال التربوي، ويتمثل ذلك في البحث عن آليات جديدة في التدريس تراعي الفروق الفردية بين المتعلمين.

يعرّف "لويس لوكران" (louis Legrand) البيداغوجيا الفارقية كالآتي: "البيداغوجيا الفارقية هي مقارنة تربوية تستخدم مجموعة من الوسائل والاستراتيجيات التعليمية التعلّمية قصد مساعدة الأطفال المختلفين في العمر والقدرات والسلوكيات والمنتمين إلى فوج واحد على الوصول بطرق مختلفة إلى الأهداف نفسها"¹.

يعرّفها "مراد بملول" كالآتي: "تمثل البيداغوجيا الفارقية في وضع الطرق والأساليب الملائمة للفروق ما بين فردية (بين الأفراد) والكفيلة بتمكين كل فرد من تملك الكفايات المشتركة (المستهدفة بالمنهج)"².

وهي بيداغوجيا تعمل على الأخذ بعين الاعتبار خصوصيات المتعلمين والكفايات المستهدفة³؛ فالفروق بين المتعلمين في القسم عديدة منها: فروق في الاستعدادات، وفروق متّصلة بالوسط الاجتماعي، وفروق في التاريخ المعرفي، وفروق وجدانية تتصل بالرغبة في التعلم، وفروق في التجربة الذاتية. وفروق في العلاقات بين الأستاذ والمدرسة.

يتّضح من خلال المفاهيم المقدّمة أن البيداغوجيا الفارقية تُعنى أساسا بالمتعلم، بهدف جعله متأقلمًا مع مختلف الفروق الفردية، وذلك من خلال مجموع الإجراءات والعمليات والأساليب والطرق التي تعتمد عليها هذه البيداغوجيا، حتى تكوّن فرصًا للنجاح، والتطور معرفيًا وعلميًا.

فهي تأخذ بعين الاعتبار الفروق الذاتية الطبيعية بين الأشخاص⁴ (بيولوجية وفيزيولوجية)، والمكتسبة (الثقافة، وأنماط التنشئة الاجتماعية، والوضع الاقتصادي، والمركز الاجتماعي، وطبيعة المحيط الأسري والاجتماعي).

ولابد أن نشير إلى أن الاهتمام الأولي بالبيداغوجيا الفارقية قد انطلق منذ بداية القرن العشرين، في إطار الاهتمام السيكلوجي بمقاييس العقل، ووضع الركائز المختلفة لقياس نسبة التعلم والاكتساب والاستيعاب، والتمييز بين المتعلمين على مستوى الذكاء العقلي⁵.

وبذلك تتطلب هذه البيداغوجيا طريقة في التفكير تجعل المتعلمين في مركز التعليم والتعلم، مما يجعل الحاجات والمميزات الفردية تقود إلى اختيار مختلف استراتيجيات التعليم. كما تستهدف هذه البيداغوجيا جعل المتعلمين أناسا أقرب بعضهم إلى بعض، يتحكمون في معارف مشتركة لتكوين مجتمع تضامني يحترم فوارقهم.

¹ - البيداغوجيا الفارقية والمعالجة التربوية، الملتقى التكويني، مديرية التربية لولاية الجلفة، مفتشية التربية والتعليم الأساسي، المقاطعة الثانية، حاسي بجيج، الجلفة، الجزائر، (د. ط)، 2010/2009، ص2.

² - رضوان العثماني، بيداغوجيا المسارات أو الفارقية، مجزوءة تدبير التعليمات، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، وجدة، المغرب، 2015، ص3.

³ - إبراهيم بن عمارة، المتميز في علوم التربية، متوسطة أبو كامل شجاع بن أسلم، بوسعادة، مديرية التربية لولاية المسيلة، الجزائر، 2018، ص19.

⁴ - سهام مراد، معجم مصطلحات التربية والتعليم، مدونة معلمي، 2015م، ص8.

⁵ - جميل حمداوي، البيداغوجيا الفارقية، ص18.

3.2 مبادئ البيداغوجيا الفارقية:

تبنى البيداغوجيا الفارقية على مجموعة من المبادئ والمركبات النظرية والتطبيقية التي يمكن حصرها فيما يلي:

* **مبدأ التنوع:** من خلال تنوع الطرق والوسائل التعليمية، وكذا أساليب التدريس وغيرها، كما تأخذ بعين الاعتبار تنوع المتعلمين واختلافهم من حيث السن، والقدرات، والسلوكيات¹.

* **مبدأ ديمقراطية التعليم:** حيث تعمل البيداغوجيا الفارقية على فلسفة الاختلاف والتنوع؛ لتحقيق مردودية إنتاجية أفضل على مستوى النتائج، وتفادي الفشل والهدر والانقطاع عن المدرسة؛ بغية خلق مدرسة عمومية أو مدرسة خصوصية متساوية، وإفراز طبقات اجتماعية متقاربة ومتعايشة؛ حيث تضمن المؤسسة التربوية للجميع تكافؤ الفرص، فتؤهلهم بمجموعة من الكفايات والقدرات الإنمائية الأساسية لمواجهة التحديات والوضعية الصعبة والمعقدة.

* **مبدأ التفريد:** ويقصد بهذا احترام المعلم لخصوصيات المتعلم الذهنية، والمعرفية، والذكائية، والوجدانية، والحركية، ومراعاة أحواله النفسية الشعورية واللاشعورية، والانطلاق مما يميزه، ويفرده عن باقي المتعلمين الآخرين نفسياً، واجتماعياً، واقتصادياً، وطبقياً وثقافياً².

فهو بذلك تتسم بخصائصها التفريدية للمتعلم، وتعترف بالمتعلم شخصاً له إيقاعه الخاص في التعلم، وله تمثلاته الخاصة.

* **مبدأ التفريق:** ويعني تفريق المتعلمين داخل القسم الجماعي في ضوء الأهداف والكفايات، والمحتويات والمضامين، والطرائق البيداغوجية، والوسائل التعليمية، ووسائل التقويم والدعم والمعالجة.

وتمثل التفريق البيداغوجي عن طريق الوضعيات التعليمية في تنوع هذه الوضعيات بحسب حاجات المتعلم، وخصائص الكفاءات المستهدفة، والفترات الزمنية، وعدد التلاميذ بالفصل الواحد.

* **مبدأ التعلم الذاتي:** تقوم البيداغوجيا الفارقية على مبدأ التعلم الذاتي سواء في إطار فردي أو جماعي داخل الفصل أو خارجه³.

كما تعمل البيداغوجيا الفارقية على تعويد المتعلم على التعلم الإفرادي وتمثل العمل الشخصي، والتسلح بمختلف القدرات الكفائية الضرورية لمواجهة الوضعيات الصعبة والمعقدة، والاعتماد على النفس في الاستدكار، والمراجعة والاستكشاف والمشاركة داخل القسم.

* **مبدأ الذكاءات المتعددة:** اختلف علماء النفس في نظرهم للذكاء، وتعددت مفاهيمهم له؛ فينظر إليه بعضهم على أنه القدرة على إدراك العلاقات بين الأشياء أو الأفكار، في حين أن بعضهم الآخر ينظر إليه على أنه القدرة على تطبيق ما تعلمه الإنسان، أو فهمه في ظروف معينة على ظروف، وحالات جديدة⁴.

ونشير إلى أن نظرية الذكاءات المتعددة قد تأسست من خلال البحوث والدراسات التي أفضت إلى نقد المفهوم التقليدي للذكاء، وعليه فإن هذه النظرية تنطلق من مبدأ أشبه ما يكون بمسلمة لديها، وهو أن كل الأطفال البشريين العاديين يولدون ولديهم كفاءات ذهنية متعددة؛ منها ما هو ضعيف، ومنها ما هو قوي¹.

¹ - إبراهيم بن عمارة، المتميز في علوم التربية، ص19.

² - جميل حمداوي، البيداغوجيا الفارقية، ص11، 12.

³ - رضوان العثماني، بيداغوجيا المسارات أو الفارقية، ص8.

⁴ - محمد سليمان، سيكولوجية الفروق الفردية وقياسها، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 2003، ص52، 51.

وقد أخذت البيداغوجيا الفارقية بعين الاعتبار هذا المبدأ، ورأت أنه من شأن التربية الفعّالة أن تنمّي ما لدى المتعلم من قدرات ضعيفة، وتعمل في الوقت نفسه على زيادة وتنمية ما هو قويّ لديه.

***مبدأ التنشيط:** بما أن البيداغوجيا الفارقية تقوم على الفروق الفردية، وتوظّف المجموعات في التّعليم والتّعلم، فهي ترتبط ارتباطاً عضوياً بالتنشيط؛ الذي له دور هامّ في الحياة المدرسية؛ إذ يعدّ الأساس الداعم للفعل التعليمي التّعلّمي في المدرسة، وهو بمفهوم التّفعيل الذي يقوم بإضفاء الحيوية على جلسة تعليمية؛ بقصد تنمية التواصل بين المتعلمين، وتنظيم مساهماتهم في بناء التعلم. ولهذا فإن للتنشيط أهمية كبيرة في مجال التربية والتعليم لكونه يرفع المردودية الثقافية والتّحصيلية لدى المتعلّم، ويسهم في الحد من السلوكيات العدوانية، والقضاء على التصرفات الشائنة لدى المتعلمين، ومراعاة الفوارق الفردية.²

***مبدأ الإنتاجية الذي يقابله مبدأ الحدّ من ظاهرة الإخفاق المدرسي:** فمن بين الأهداف الجوهرية للبيداغوجيا الفارقية التقليل من ظاهرة التسرب والفسل المدرسي؛ وذلك بالبحث عن مختلف الحلول الممكنة للحد من هذه الظاهرة التي تقذف بنسبة كبيرة من أطفالنا إلى الشارع.³

كما تهدف البيداغوجيا الفارقية إلى تحقيق الإنتاجية، والإبداعية، والابتكار، وتنمية القدرات والكفايات الأساسية، وتطوير الذكاءات المتعددة لدى المتعلم، وصقلها نظرياً ووظيفياً؛ وهذا كله من أجل خلق مدرسة منتجة ومبدعة وفاعلة، تسهم في بناء قدرات الوطن؛ لكي يكون قادراً على النمو، والتنافس، والتقدم.

4.2 أهداف البيداغوجيا الفارقية:

تسعى البيداغوجيا الفارقية إلى تحقيق أهداف عديدة-وهي في أغلبها مشروعة، وفي توافق مع طموحات الفرد والمجتمع-ويمكن أن نصنفها كالآتي:

- من أهم ما تسعى إليه البيداغوجيا الفارقية هو محاربة الفسل الدراسي، وجعل كل متعلّم في النهاية قادراً على اكتساب الحدّ اللازم من المعرفة، والخبرة الملائمين لإمكاناته (الكفايات الأساسية القاعدية).
- الوعي بالقدرات والإمكانات الذاتية، والعمل على تنمية هذه القدرات، وبلورتها في شكل كفايات أساسية.
- تحرير رغبة المتعلم في التّعلم من مختلف أشكال الإحباط، والخروج به من بوتقة الفسل، وإعادة الثقة إليه من خلال تعليمه الاستقلالية، والاعتماد على النفس.
- تحسين العلاقة بين المتعلمين في الصف الدراسي الواحد، انطلاقاً من ثراء التفاعل الاجتماعي⁴.
- تطوير المنظومة التربوية والتعليمية لتحقيق الجودة والمردودية بمراعاة الفوارق الفردية.
- تأهيل المتعلمين للتكيف الإيجابي مع المجتمع، بعد صقل مواهبهم وتنمية ذكائهم، وقدراتهم المتنوعة والمختلفة.

¹ - محمد الصدوقي، المفيد في التربية، ص66.

² - جميل حدادي، البيداغوجيا الفارقية، ص14.

³ - البيداغوجيا الفارقية والمعالجة التربوية، الملتقى التكويني، ص8.

⁴ - فضيل الرّيمي وصليحة لكحل، طرائق بيداغوجيا التربية والمقاربة بالكفاءات بين النظري وصعوبات التطبيق، مجلة دفاتر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، ع9، 2012م، ص104.

● ربط التعليم بتحقيق حاجيات المتعلمين النفسية، والاجتماعية، والثقافية؛ بوضع المناهج والبرامج والدروس التي تلائم ميول المتعلمين ورغباتهم، وتناسب مع قدراتهم الذاتية، والذكائية، والتحصيلية¹.

نخلص ممّا سبق عرضه إلى أن البيداغوجيا الفارقية ليست نظرية جديدة في التربية، أو طريقة مميزة في التدريس أو أسلوب أو تقنية، بل هي تمثّل تربوي، وروح عمل، وممارسة تتمثل في الاعتراف بمكانة المتعلم داخل الوضعية التعليمية التعليمية، وتعدّه عنصراً فاعلاً، ونشيطاً له قدراته وكفاءاته، وذا أنماط تعلّمية فريدة، كما أنه يواجه عدّة صعوبات وعوائق خلال سيرورة تملك المعارف المدرسية، وتعود هذه العوائق إلى عدة أسباب: ذاتية، ومدرسية، واجتماعية، وثقافية.

ولهذا كان الهدف الأساسي الذي تسعى إليه البيداغوجيا الفارقية هو: الاهتمام بالمتعلم وبمختلف حاجياته، وذلك لكونه محور العملية التعليمية ونواتها؛ حيث تعمل هذه البيداغوجيا على تفريد المتعلم بيداغوجياً، وديداكتيكياً، وتنمية قدراته الذاتية، وتطوير ذكائه المتعددة للتكيف الإيجابي مع الواقع الدراسي، والاجتماعي. كما تبحث في مختلف الأسباب، واقتراح أنجع الحلول للحدّ من مختلف الفروقات بين المتعلمين لضمان سيرورة العملية التعليمية، وبذلك لا يمكننا فصل البيداغوجيا الفارقية عن العملية التعليمية.

3. المقاربة بالكفاءات:

1.3 مفهوم المقاربة بالكفاءات: المقاربة بالكفاءات مصطلح مركب من كلمتين هما: المقاربة، والكفاءة.

*وتعني المقاربة: الكيفية العامة، أو الخطة المستعملة لنشاط ما (مرتبط بأهداف معينة)، والتي يراد منها دراسة وضعية، أو مسألة، أو حل مشكلة، أو بلوغ غاية معينة، أو الانطلاق من مشروع ما.²

وما يمكن فهمه من هذا التعريف: أن المقاربة تمثل طرحاً نظرياً مبنياً على مجموعة من المعايير، والمبادئ، والأسس، والقواعد لبناء تصوّرات عن المناهج، والبرامج الدراسية على ضوء استراتيجيات وخطط؛ بغرض تحقيق نتائج عملية ترمي لتحسين التعليم، وفقاً لمتطلبات، وحاجات، وأهداف المتعلم بحسب كل مرحلة.

*وأما الكفاءة: فتعني القدرة على تجنيد مجموعة مندمجة من المعارف، والمهارات بشكل ناجح في مواجهة وضعيات مشكلة؛ فهي القدرة على التصرف المبني على تجنيد، واستعمال مجموعة من الموارد استعمالاً ناجحاً: معارف مكتسبة-حسن التصرف-قيم-قدرات فكرية-مواقف شخصية.³

وبهذا فالمقاربة بالكفاءات هي: خيار بيداغوجي انتهجته وزارة التربية الوطنية؛ بغية منح المتعلمين القدرات والمهارات التي تسمح لهم فعلاً أن يكونوا أكفاء؛ للقيام بأشياء تنفعهم، وتنفع مجتمعاتهم.

¹ - جميل حمداوي، البيداغوجيا الفارقية، ص18.

² - حميدة عمارة، مقارنة التدريس بالكفاءات وكفايات التدريس (من المفهوم إلى التقويم)، مجلّة جسور المعرفة، جامعة الشلف، الجزائر، ع3، 2015م، ص150.

³ - وزارة التربية الوطنية: دليل استخدام كتاب اللغة العربية للسنة الرابعة ابتدائي، الديوان الوطني للطباعة المدرسية، 2017، ص:9.

والكفاءات هي التي تجعل المعارف قابلة للتحويل والتجديد في الوضعيات التي تمكننا من التصرف خارج المدرسة، ومواجهة وضعيات معقدة؛ أي التفكير، والتحليل، والتأويل، والتوقع واتخاذ قرارات، والتنظيم والتفاوض.

فهي تجعل من المتعلم محورا أساسيا لها، وتعمل على إشراكه في مسؤولية قيادة وتنفيذ عملية التعلم، كما تقوم على اختيار وضعيات تعليمية مستقاة من الحياة في صيغة مشكلات، ترمي عملية التعلم إلى حلّها باستعمال الأدوات الفكرية، وبتسخير المهارات والموارد الضرورية لذلك، فحل المشكلات أو الوضعيات المشكلة هو الأسلوب المعتمد للتعلم الفعّال؛ إذ إنه يتيح للمتعليم بناء معارفه بإدماج المعطيات، والحلول الجديدة في مكتسباته السابقة.¹

2.3 خصائص بيداغوجيا المقاربة بالكفاءات:

تتميّز المقاربة بالكفاءات بخصائص منها:

- **تفرد التعليم:** أي إن التعليم في إطار هذه المقاربة يدور حول المتعلم، وينطلق من مبدأ الفروق الفردية بين المتعلمين، كما يشجع على استقلالية المتعلم، ويفسح المجال أمام مبادرته وآرائه وأفكاره.
- **حرية المعلم واستقلاليته:** تمتاز هذه المقاربة بأنها تحرر المعلم من الروتين، وتشجعه على اختيار الوضعيات، والنشاطات التعليمية التي تؤدي إلى تحقيق الكفاءة المستهدفة.
- **التقويم البنائي:** أي إنّ التقويم وفق هذه المقاربة لا يقتصر على فترة معينة، وإنما يساير العملية التعليمية في سائر مراحلها. والمهم في هذه العملية التقويمية هنا هو الكفاءة المحصّلة، وليس مجرد المعرفة.
- **تحقيق التكامل بين المواد:** أي إن الخبرات الموجهة للمتعلّم تُقدّم في إطار مدمج؛ لتحقيق الكفاءات المستهدفة.

3.3 مبادئ بيداغوجيا المقاربة بالكفاءات:

تقوم بيداغوجيا المقاربة بالكفاءات على جملة من المبادئ، نذكر منها:

- **مبدأ البناء:** أي استرجاع التلميذ لمعلوماته السابقة، قصد ربطها بمكتسباته الجديدة، وحفظها في ذاكرته الطويلة.
- **مبدأ التطبيق:** ويعني ممارسة الكفاءة بغرض التحكّم فيها، بما أن الكفاءات تعرّف عند البعض على أنها القدرة على التصرف في وضعية ما؛ حيث يكون التلميذ نشطا في تعلمه.
- **مبدأ التكرار:** أي تكليف المتعلم بالمهام الإدماجية نفسها مرات عديدة، قصد الوصول به إلى اكتساب المحتويات.²
- **مبدأ الإدماج:** يسمح الإدماج بممارسة الكفاءة عندما تقتزن بأخرى، كما يتيح للمتعليم التمييز بين مكونات الكفاءة والمحتويات، ليدرك الغرض من تعلمه.
- **مبدأ الترابط:** يسمح هذا المبدأ لكل من المعلم والمتعلم بالربط بين أنشطة التعليم، وأنشطة التعلم، وأنشطة التقويم التي ترمي كلّها إلى تنمية الكفاءة.³

¹ - وزارة التربية الوطنية: دليل استخدام كتاب اللغة العربية للسنة الرابعة ابتدائي، ص 9.

² - رحيمة شرقي، ونجاة بوساحة، بيداغوجيا المقاربة بالكفاءات في الممارسة التعليمية، ص 59.

³ - إبراهيم بن عمارة، التمييز في علوم التربية، ص 10.

4. نقاط التقاطع بين البيداغوجيا الفارقية، والمقاربة بالكفاءات:

تتشترك كل من البيداغوجيا الفارقية والمقاربة بالكفاءات في الأهداف نفسها؛ حيث إن كليهما يسعى إلى خدمة المتعلم، والاهتمام به في إطار العملية التعليمية، والنهوض بهذه الأخيرة وفق ما تقتضيه حاجات المتعلم، ما نتج عن ذلك تكامل وظيفي بين المقاربتين؛ حيث يتمثل ذلك في كون البيداغوجيا الفارقية مكتملة للمقاربة بالكفاءات، ويظهر هذا التماثل والتقارب في النقاط الآتية:

- تعدّ البيداغوجيا الفارقية والمقاربة بالكفاءات من أهم أسس ومبادئ الإصلاحات التربوية الحديثة.
- كلاهما يعدّ من أحسن الطرائق البيداغوجية التي تجعل المتعلم محور العملية التعليمية التعلمية؛ أي إنهما تشتركان في الهدف نفسه وهو الاهتمام بالمتعلم من نواحٍ متعددة.
- كلاهما يعمل على مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين، وكذا الأخذ بعين الاعتبار كل الظروف، والملابسات الخارجية أو الداخلية من ظروف نفسية واجتماعية وثقافية وغيرها، والتي من شأنها أن تعرقل تعليم المتعلم وتعلّمه.
- العمل على تنمية القدرات العقلية وغيرها من الإمكانيات الذهنية وبلورتها في شكل كفايات أساسية.
- السعي لتحسين المنظومة التربوية وتحقيق الجودة والمردودية، من خلال التنوع في البرامج والمناهج التربوية، وكذا طرائق التدريس والوسائل التعليمية المعتمدة، ومن ذلك الأخذ بعين الاعتبار خصوصيات كل متعلم.
- كلاهما يستند لما جاء به علم النفس التربوي وعلم الاجتماع في الاهتمام بالمتعلم، وخصوصياته النفسية والاجتماعية والتربوية.
- ربط التعليم بالواقع: فكلاهما يعدّ بمثابة نموذج تربوي، يهدف لتجديد التعليم والتكوين.
- استثمار إمكانيات المتعلم وقيادته نحو التفوق والنجاح، من خلال توفير الظروف والأجواء المناسبة للتعليم؛ والتي من شأنها أن تسهّل عملية الاكتساب لدى المتعلم.

وبهذا يمكننا القول: إن التدريس في ضوء البيداغوجيا الفارقية والمقاربة بالكفاءات يعدّ عملية منظّمة ومقصودة وهادفة، تسمح للمتعلم باكتساب مجموعة من المعارف والقدرات والمهارات الضرورية، واستثمارها في إنجاز مهامه على أحسن وجه. ويحتاج التدريس هنا إلى جهد مركّز لتوجيه تلك العمليات العقلية ودعمها، والمسؤولية الأساسية تلقى على عاتق المعلمين، وذلك بتنظيم الظروف الخارجية التي تساعد المتعلمين على تنشيط العقل، وتخزين المعلومات والمعارف وتنظيمها، ثم استرجاعها عند الحاجة.

5. ملامح استثمار مبادئ البيداغوجيا الفارقية والمقاربة بالكفاءات في كتاب اللغة العربية للسنة الرابعة

ابتدائي:

يأتي الجانب التطبيقي من المقال توصيفاً لمحتوى كتاب اللغة العربية للسنة الرابعة ابتدائي، في محاولة للوقوف على مدى استيفائه لمبادئ المقاربة بالكفاءات-من حيث هي خيار بيداغوجي انتهجته وزارة التربية والتعليم بديلاً عن المقاربة بالأهداف-وكذا البيداغوجيا الفارقية.

واعتمدت الدراسة المنهج الوصفي، الذي يعرف على أنه: "استقصاء ينصب على تشخيص ظاهرة ما، وكشف جوانبها، وتحديد العلاقات بين عناصرها، أو بينها وبين ظواهر أخرى".¹

فهذا الأخير يعدّ الأنسب لوصف الظاهرة المدروسة وتحليلها؛ فهو أحد أشكال التحليل، والتفسير العلمي، يقوم على رصد ومتابعة دقيقة لظاهرة معيّنة في فترات زمنية معيّنة للوصول إلى نتائج تُعمم وتُساعد على فهم الواقع وتطويره.²

1.5 وصف محتوى الكتاب المدرسي للسنة الرابعة ابتدائي وتحليله:

جاء الكتاب المدرسي موسومًا بـ " اللغة العربية " السنة الرابعة من التعليم الابتدائي "، وكان بإشراف وتنسيق " بن الصيد بورني سراب " وتأليف مجموعة من المؤلفين هم: بن الصيد بورني سراب (مفتشة التعليم الابتدائي) قيطاني موهوب ربيعة (مفتشة التعليم الابتدائي بن عاشور عفاف) (أستاذة التعليم الابتدائي)، بوخزة أمال (مفتشة التعليم الابتدائي). والملاحظ أن الكتاب المدرسي لم يقتصر تأليفه على مؤلف واحد أو اثنين، بل تعدى إلى أربعة مؤلفين لكل منهم رتبة معيّنة في مجال التربية والتعليم.

وقد صدر الكتاب المدرسي للسنة الرابعة ابتدائي عن الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية ONPS للسنة الدراسية 2020/2019، وقد بلغت عدد صفحاته 139 صفحة.

2.5 ملامح مبادئ البيداغوجيا الفاروقية والمقاربة بالكفاءات من خلال فهرس الكتاب ومقاطعته:

من خلال فهرس الكتاب نجد أن الكتاب يشتمل على " ثمانية مقاطع "، يهتم كل مقطع بمحور من المحاور المقترحة في المنهاج، معبّرة عن واقع ما يعيشه المتعلم وتطلعات مجتمعه، فهي مقاطع ذات دلالة وأبعاد إنسانية واجتماعية، وطنية، بيئية، ثقافية.... إلخ، تشجع وتنمي حسن التواصل والمبادرة والتحليل والإبداع والتفتح على الآخر؛ حيث يهتم كل مقطع ويروج للرصيد اللغوي، والموارد المعرفية والمنهجية الخاصة بالمحور من خلال ميادين اللغة الأربعة، المتمثلة في: ميدان فهم المنطوق، والتعبير الشفوي، وفهم المكتوب، والتعبير الكتابي، وينتهي كل مقطع بمشروع ونشاط الإدماج والتقييم.³

وقد جاء ترتيب مقاطع الكتاب المدرسي كما يلي: 1-القيم الإنسانية. 2-الحياة الاجتماعية 3-الهوية الوطنية 4-الطبيعة والبيئة. 5-الصحة والرياضة. 6-الحياة الثقافية 7-الإبداع والإبتكار 8-الرحلات والأسفار.

من خلال العناوين المدرجة في مقاطع الكتاب نلاحظ أن هناك تنوعًا في طبيعة النصوص المختارة؛ حيث تنوعت هذه المحاور بين العديد من الأبعاد التي تعكس واقع المتعلم؛ بين أبعاد إنسانية في المقطع الأول، وأبعاد اجتماعية في المقطع الثاني، وأخرى وطنية في المقطع الثالث، وثقافية في المقطع السادس وغيرها، وهذا ما يعكس تحصيله أهم خاصية من خصائص البيداغوجيا الفاروقية، وهو خاصية "التنوع"، وهذا غرضه تنمية الجانب الوجداني للمتعلم.

¹ - رجيم يونس كرو العزاوي، مقدّمة في منهج البحث العلمي، دار دجلة، عمان، الأردن، ط1، 2008، ص97.

² - مر. ن، ص. ن.

³ - دليل استخدام كتاب اللغة العربية السنة الرابعة من التعليم الابتدائي، ص13.

كما أن التنوع الحاصل في توزيع محاور الكتاب المدرسي يحيلنا على أن هناك تجسيداً لمبدأ آخر من مبادئ البيداغوجيا الفارقية وهو "مبدأ ديمقراطية التعليم" الذي يقوم على فلسفة الاختلاف، والتنوع بغية تحقيق مردودية إنتاجية جيدة على مستوى التحصيل. ونلاحظ أيضاً أن هناك تنظيمًا واضحًا في توزيع المحاور على مختلف المقاطع؛ إذ نجدها مرتبة ترتيبًا محكمًا، وهي ذات أبعاد مختلفة، وهذا يعكس مدى اعتماد مبدأ "التدرج" أو "التدرج"، وكذا "مبدأ الترابط" الذي تقوم عليه المقاربة بالكفاءات. ولكن ما يلاحظ على محتوى الكتاب هو عدم احترام "مبدأ التخفيف" الذي تفرضه هذه الأخيرة؛ حيث نلمس كثافة في الدروس المقررة.

أضف إلى ذلك كثرة الأنشطة الدراسية المبرمجة ضمن كل محور، مما قد يتسبب في عرقلة الفهم وعسر استيعاب المتعلم، كما يعيق إتمام المقرر الدراسي في الوقت المطلوب، بخاصة أن الوقت المبرمج لكل حصة لا يتعدى 45د، وهو ليس بالوقت الكافي لإنهاء الدرس، وهذا بشهادة عدد من المعلمين؛ فكثافة الدروس في المحتوى الدراسي وضيق الوقت يؤديان بالضرورة إلى إسراع المعلم في تلقين المادة وتقديمها للمتعلمين، خاصة أن ضيق الوقت لا يعطي الفرصة لكل المتعلمين للفهم والاستيعاب الجيد، مما ينتج عنه عدم قدرة المعلم على مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين مع قلة التفاعل والمشاركة داخل الصف، وهذا يعكس عدم اعتماد أو تطبيق "مبدأ التعلم الذاتي" في البيداغوجيا الفارقية، وكذا "مبدأ البناء" الذي تعمدته المقاربة بالكفاءات في استرجاع المتعلم لمعلوماته السابقة وربطها بمكتسباته الجديدة، وهذا كله راجع لكثافة المحتوى التعليمي الذي ينتج عنه قلة الوقت وضيقه.

وحسب المعلومات الواردة في مقدمة الكتاب المدرسي¹ فإنه يعتمد على "المقاربة النصية" في تناول الوحدة اللغوية، وبهذا يعدّ النص (المنطوق أو المكتوب) البنية الكبرى التي تظهر فيها كل المستويات اللغوية الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية والأسلوبية، فهو بذلك يهدف إلى إنماء كفاءات ميادين اللغة الأربعة: فهم المنطوق، التعبير الشفوي، فهم المكتوب، الإنتاج الكتابي.

3.5 ملامح مبادئ البيداغوجيا الفارقية والمقاربة بالكفاءات من خلال عناوين النصوص:

يحتوي كتاب اللغة العربية للسنة الرابعة ابتدائي على ثلاثة وعشرين (23) نصًا، وأكثر من خمسين بالمئة منها نصوص جزائية، تظهر فيها جليًا خطاطة النمط الوصفي سهلة ومشوقة، واضحة، وبعيدة عن التعقيد الفكري واللغوي، مستمدة من محيط المتعلم، هادفة إلى تنمية طاقاته الفكرية والسلوكية، معززة للقيم الروحية والأخلاقية والوطنية، عاملة على إنماء ذوقه الفني وأفق المعرفي، تتميز بالحدثة والوجاهة، وتستجيب لميول ورغبات هذه الشريحة، كما تتوفر على درجات عالية من القابلية للقراءة من الناحية اللسانية والخطية، وتحتوي على مسهلات التعلم².

ونظرًا لاحتواء الكتاب على عدد معتبر من النصوص موزعة على ثمانية (08) محاور، ارتأيت أن أمثل ببعض النصوص، وهذا حتى تكتسي الدراسة صفة التنوع في التحليل، مع محاولة رصد أهم خصائص ومبادئ البيداغوجيا الفارقية والمقاربة بالكفاءات المتجلية في مضمون النصوص.

جاءت نصوص الكتاب مرتبة حسب كل مقطع على النحو الآتي³:

¹ - سراب بن الصبيد بورني وآخرون، كتاب اللغة العربية السنة الرابعة من التعليم الابتدائي، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، الجزائر، 2020/2019، ص1.

² - كتاب اللغة العربية السنة الرابعة من التعليم الابتدائي، ص1.

³ - كتاب اللغة العربية السنة الرابعة من التعليم الابتدائي، ص02.

- المحور 1: القيم الإنسانية: ونصوصه: مع عصاي في المدرسة-ماسح الزجاج-جدتي.
- المحور 2: الحياة الاجتماعية: ونصوصه: التاجعات-المعلم الجديد-بين جارتين.
- المحور 3: الهوية الوطنية: ونصوصه: الحنين إلى الوطن-الأمير عبد القادر-الزائر العزيز.
- المحور 4: الطبيعة والبيئة: ونصوصه: رسالة ثعلب-البيت البيئي-طاقة لا تنفذ.
- المحور 5: الصحة والرياضة: ونصوصه: قصة زيتونة-مرض سامية-لمن تحتف الحناجر.
- المحور 6: الحياة الثقافية: ونصوصه: أنامل من ذهب-لباسنا الجميل-القاص الطارق.
- المحور 7: الابتكار والإبداع: ونصوصه: مركبة الأعماق-سالم والحاسوب-ما أعظمك.
- المحور 8: الرحلات والأسفار: ونصوصه: جولة في بلادتي-حكايات في حقيتي.

والملاحظ أن نصوص الكتاب تعكس "مبدأ التنوع" التي تقتضيه كل من البيداغوجيا الفارقية والمقاربة بالكفاءات، فهي نصوص متنوعة بين مجالات عديدة، ومختلفة منها: "المجال الاجتماعي والثقافي والعلمي والتاريخي والوطني... وغيره"، وهذا التنوع يهدف إلى توسيع معارف المتعلم على كافة المجالات، والميادين وتنمية مكتسباته.

4.5 ملامح مبادئ البيداغوجيا الفارقية والمقاربة بالكفاءات من خلال طبيعة النصوص ومحتواها:

نصوص الكتاب كلها ثرية خالية من أي نص شعري، وقد جاءت كلماتها مشكولة لتسهيل قراءتها على المتعلمين ولفظها بشكل سليم.

وتتميز هذه النصوص بالتنوع والاختلاف في الأبعاد والقيم، كما اختلفت طبيعتها بين مقالات وقصص ومسرحيات، إلا أن نوع القصص هو الغالب على نصوص الكتاب، وذلك راجع لكون المتعلمين في هذه المرحلة يميلون كثيرا إلى القصص والحكايات. وما يميز هذه النصوص هو احتواؤها على وسائل إيضاح مرفقة مع كل نص، كالصور والرسوم التي جاءت بكيفيات مختلفة، ومتعددة في الدرس الواحد.

ولعل الغرض الأساسي من هذا الاستعمال هو توضيح الأفكار بشكل أقرب لذهن المتلقي، وتوسيع خياله في استيعاب مضمون النص؛ فهذه الصور تساعد المتعلم على فهم مضمون النص، وتجعله يتفاعل معه أكثر، كما يمكنه من خلالها أن يعبر عن موضوع النص دون الحاجة إليه؛ حيث إن المتعلم في هذه المرحلة يميل إلى الخيال الواسع وإلى مشاهدة الصور والتعبير عنها حسب ما يستقرئه منها، وهذا ينمي ثروته اللغوية، ويطور لغته بشكل كبير.

فعندما يحسن المعلم تقديم الدرس وفق الطريقة المطلوبة في المنهاج التربوي، فإن ذلك ينعكس إيجابا في تحقيق الكفاءة المعرفية لدى المتعلم، من خلال إعطائه فرصة للقراءة الصامتة للنص مع ملاحظة الصور، ثم القراءة الجهرية التي تحسن من أدائه النطقي. وكذلك إعطاء الفرصة للمعلم لكشف الفروق الفردية بين المتعلمين، من خلال اختلاف طريقة القراءة بين كل متعلم على حده. وهذا ما يعكس "مبدأ تكافؤ الفرص" الذي أتت به البيداغوجيا الفارقية.

والملاحظ على حجم هذه النصوص أنها قصيرة نوعا ما، ومختصرة في صفحة واحدة، ومتكوّنة من فقرتين إلى خمس فقرات، ولكننا نلمس كثافة في عدد النصوص المقررة، والتي قدّرت بثلاثة وعشرين نصّا (23)، وهذا ما ينعكس سلبيًا على المعلم والمتعلم — كما ذكرنا سابقا— نظرا لكون الوقت المبرمج لحصة اللغة العربية (45د) لا يسمح بإنهاء البرنامج في الوقت المطلوب، مما يصعب

على المعلم الإلمام بكافة الدروس وتقديمها للمتعلم بالطريقة التي تناسب قدراته. أضف إلى ذلك عجزه في تقييم المتعلمين ورصد الفروق الفردية الكامنة بينهم. وهذا ما يؤدي بالضرورة إلى ضعف التحصيل الدراسي عند المتعلم لا سيما الفئة ضعيفة المستوى. ويتراوح عدد كلمات النص الواحد بين 122-145 كلمة، مع وجود شرح للكلمات الصعبة، تحت عنوان "رصيدي الجديد" كما تُوجد بعض الأسئلة التي ينبغي على المتعلم الإجابة عنها، لاختبار مدى استيعابه للنص. ونشير في السياق نفسه أن هذه النصوص تهدف إلى إكساب المتعلم مهارات متعددة، وذلك من خلال الأنشطة المتنوعة والمشاريع المختلفة المدرجة معها، والتي تساهم كلها في إثراء الرصيد المعرفي للمتعلم. وهذا الكم من كلمات النصوص يتجاوز في متوسطه ما نصّ عليه المنهاج؛ على أن تكون المادة المعجمية من 90 إلى 120 كلمة، وتتوافق نسبياً مع ما نصّ عليه دليل استخدام الكتاب بين 100 و130 كلمة. وقد أكدت دراسة إحصائية مخصصة بنصوص الكتاب من حيث الكم المعجمي أن ثمة "عدداً من النصوص الطويلة جداً، وهي ذات كثافة معجمية كبيرة؛ فهي تفوق طاقة المتعلم في هذه المرحلة، ومنها نص "سالم والحاسوب"؛ الذي بلغ عدد كلماته تقريباً 274 كلمة، وكذا نص تاجمات؛ الذي بلغ عدد كلماته تقريباً 257 وغيرها من النصوص الطويلة التي تشكّل ضغطاً بصرياً¹، وفي هذا إخلال بأحد أهم مبادئ البيداغوجيا الفارقية؛ التي تنص على مراعاة المستوى اللغوي والعقلي للمتعلم في صياغة المحتوى التعليمي.

وخلصت الدراسة إلى أن الكتاب المدرسي لا يترجم بدقة ما جاء في المنهاج، ودليل استخدام كتاب اللغة العربية من حيث الكم، ودعت إلى ضرورة إعادة مراجعة النصوص المختارة، واحترام المعايير التي تناسب قدرات ومستوى المتعلم². وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على أن كثيراً من النقائص المسجلة في الكتاب المدرسي تقع مسؤوليتها على عاتق مؤلفي الكتاب، لا القيمين على وضع المنهاج.

أ- موضوعات النصوص:

تعالج النصوص موضوعات متنوعة ذات جوانب مختلفة، منها الاجتماعية والثقافية والتاريخية والإنسانية وغيرها، فهي تناسب مستوى المتعلمين من جهة، وقدراتهم ورغباتهم من جهة أخرى؛ حيث يمكننا القول إن هناك مراعاة لمستوى المتعلمين ولحاجاتهم اللغوية والمعرفية في اختيار موضوعات النصوص، فهي تعكس بشكل كبير الواقع الاجتماعي الذي يعيشه المتعلم. كما نلمس مراعاة للظروف، والأوضاع الاجتماعية المرتبطة بالمتعلمين، فهناك بعض النصوص التي تعكس الأوضاع المزرية التي يعيشها أصحاب الطبقة المتدنية والفقيرة في المجتمع. مثل النص الموسوم بـ "ماسح الزجاج"³ ص 14 فموضوعه يحمل أبعاداً نفسية ووجدانية، وقيماً إنسانية تجسّد معاناة الفقراء والمساكين في كسب لقمة العيش، والحرص على عدم المساس بكرامتهم، كما يبرز حلم

¹ - زهية حيتة، والسعيد بن إبراهيم: كتاب اللغة العربية في ظل إصلاحات الجيل الثاني "السنة الرابعة ابتدائي أنموذجاً"، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة باتنة 1، الجزائر، م 14، ع 02، ديسمبر 2021، ص: 28.

² - مر. ن، ص: 29.

³ - كتاب اللغة العربية السنة الرابعة من التعليم الابتدائي، ص 41.

أصحاب هاته الطبقة الفقيرة في تحصيل العلم والمعرفة، وعدم القدرة على الالتحاق بمقاعد الدراسة بسبب ما يفرضه عليهم الواقع المرّ.



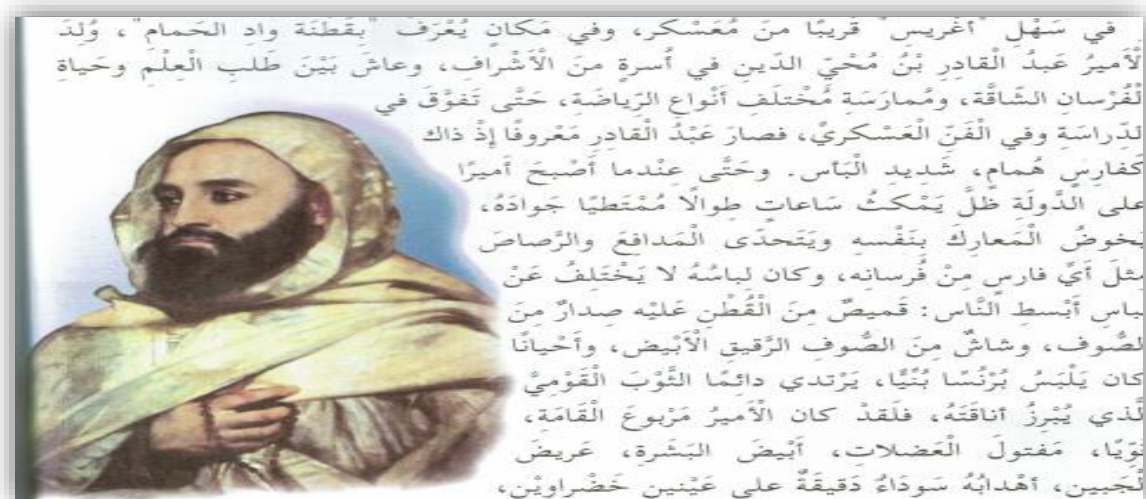
فهذا النوع من المواضيع ربما يخلق في نفس المتعلم نوعاً من الحسرة والتأسف لحياة بعض الناس، كما يغرس فيه صفة التواضع والقناعة والرضى بما رزقهم الله، كما يؤثر في تحسين مستواهم من خلال السعي والكفاح لعيش حياة أفضل بعيداً عن الحزن والألم. وفيما يخض النصوص التي تحمل أبعاداً ثقافية؛ فنجد أن جلّ موضوعاتها مقتبسة من الواقع الجزائري، ومن العادات والتقاليد الخاصة بمجتمع المتعلم، لاسيما نص "أنا مل من ذهب"¹ ص 95، الذي يحكي عن عادات من المجتمع الجزائري القديمة، وهي حياكة الزرابي والسجاد بأبسط الوسائل "كالقرداش والصوف"، وبأشهر الطرق المعروفة قديماً.

¹ - كتاب اللغة العربية السنة الرابعة من التعليم الابتدائي، ص 95.



فهذا النوع من النصوص يرمي إلى تذكير المتعلم بعادات الأجداد التي باتت غائبة، وشبه منعدمة في هذا العصر الذي يشهد تطوراً في مختلف الإمكانيات، والوسائل التكنولوجية الحديثة.

ومن بين الأبعاد الأخرى المتضمنة في نصوص هذا الكتاب نجد نصوصاً تحمل موضوعاتها أبعاداً وطنية بحثية، تجعل المتعلم يعتزُّ بهويته الوطنية الجزائرية، ويحترم رموزها، كما ينتمي قيمه الخلقية، والدينية، والمدنية المستمدة من مكونات الهوية الوطنية، وهذا ما نلمسه في نص "الأمير عبد القادر"¹ ص 48، على سبيل المثال لا الحصر، فهو يجسد أقوى شخصية تاريخية جزائرية، ورمزاً من رموز السيادة الوطنية، كما يعكس طباعه المتميزة وأخلاقه الفاضلة من صبر، وشجاعة، وتواضع، ووفاء، وعلم وثقافة.



¹ - كتاب اللغة العربية السنة الرابعة من التعليم الابتدائي، مر. س، ص 48.

وهذا النوع من النصوص يؤثر بشكل إيجابي في المتعلم، لاسيما في ترسيخ القيم الوطنية التي تغرس فيه روح المسؤولية، وصفة الإخلاص، والوفاء والتضحية في سبيل الوطن والصدق في حبه، والتفاني في حماية الأرض التي دافع عنها الرجال الأحرار، أضف إلى ذلك إضفاء رغبة للمتعلم في التطلع على كافة رموز السيادة الوطنية، ومعرفة تاريخ بلاده، وكذا الأبطال والشهداء الذين ضحوا بالغالي والنفيس في سبيل عيش الأجيال القادمة بسلام وأمان

ومن ذلك يمكننا القول إن النصوص التاريخية الموجودة في الكتاب المدرسي كلها مستمدة من الواقع الجزائري المرتبط بحياة المتعلمين، وفي هذا مراعاة "لأهداف المقاربة بالكفاءات التي تسعى لربط المحتوى التعليمي بالواقع الذي يعيشه المتعلم"، بالإضافة إلى نقل التراث ودراسته، واستنباط المؤشرات التي تخدم بناء الحضارة الحالية والمستقبلية.

وعلى هذا فالنصوص التي تحمل قيما هوياتية تترجم ما أقره منهاج الجيل الثاني من ضرورة تعزيز الشعور بالانتماء للأمة لدى المتعلمين.

ولكن ما يؤخذ على هاته النصوص أنها -بحسب دراسة إحصائية- لا تتضمن إلا نسبة قليلة من المفردات اللغوية التي تحمل دلالة دينية، على الرغم من أهمية الجانب الديني في حياة المسلم، إلا أنها تحمل باقية من المفردات اللغوية المرتبطة بالقيم الإنسانية والاجتماعية والأخلاقية.¹

واللافت للانتباه في تصنيف أنواع النصوص هو وجود نصوص ذات طابع علمي تبرز بين الطرافة والحقيقة، وربما الغرض من ذلك هو تقريب الصورة أكثر لذهن المتلقي، وتسهيل عملية الفهم بطريقة أقل تعقيدا، ومن أمثلة ذلك نجد النص الذي بعنوان "سالم والحاسوب"² ص 116.



¹ - زهية حيتة، والسعيد بن إبراهيم: كتاب اللغة العربية في ظل إصلاحات الجيل الثاني "السنة الرابعة ابتدائي نموذجًا"، ص: 29.

² - كتاب اللغة العربية السنة الرابعة من التعليم الابتدائي، ص 116.

فهذا النص يعكس حقيقة علمية للحاسوب، ومدى فائدته وقدرته في تجسيد العالم في أقرب صورة؛ حيث تم تقديم معلومات عن الحاسوب، والتعريف به بطريقة طريفة أكثر، لجعل المتعلم مستمتعًا بقراءة النص، بعيدا عن الملل الذي يبعده عن التركيز، والذي يجعله غير مهتمٍ بالنص، وغير منسجمٍ معه، فمن الضروري أن يكون النص عاكسا للميولات النفسية للمتعلم ومراعيًا لرغباته الشخصية، وهذا ما تفرضه "بيداغوجيا الكفاءات".

فلهذا النوع من النصوص أثر كبير في إكساب المتعلم مبادئ استعمال الحاسوب، والتأقلم مع الوسط الرقمي، ومن ذلك توسيع قدرات المتعلمين وتنمية ذكاءاتهم المتعددة، وهذا ما يتوافق مع "مبدأ الذكاءات المتعددة" في "البيداغوجيا الفارقية".

كما نجد نصوصا تهتم بالمجال الصحي والرياضي، لاسيما نص "مرض سامية"¹ ص 82 الذي يتضمن معلومات صحية تزيد من ثقافة المتعلم، فهذا النص مستمد من الواقع المعيش. كما نجد أيضا نص "لمن تهتف الحناجر" ص 86، فهو نص ترفيهي بامتياز يجعل المتعلم مندجاً أكثر مع سير الدرس، خاصة وأن موضوعه يتحدث عن مباراة كرة القدم المحبوبة عند الأطفال لاسيما الذكور. ويمكننا القول إن إدراج هذا النوع من النصوص في المقررات الدراسية قد يبعد الملل نوعاً ما عن المتعلمين، ويجعلهم أكثر تفاعلاً مع نشاط القراءة، وأكثر حماساً في الإجابة عن الأسئلة التي يطرحها المعلم، وبذلك يكون هناك تحقيق لمبدأ التطبيق الذي يسمح للمتعلم بتوظيف معارفه القبلية وآرائه وأفكاره المختلفة فيكون بذلك نشطا في تعليمه.



كما سبق عرضه يمكننا القول إن نصوص الكتاب المدرسي - المدونة - لم تقتصر على مجال واحد فقط، إنما تعددت مجالاتها، وتنوعت بذلك أبعادها وقيمها الفنية والجمالية، وهي لم تبتعد بذلك عن واقع المتعلم، بل كانت كلها موصولة بالمجتمع، وبالحياة الاجتماعية والثقافية وما إلى ذلك.

6. خاتمة:

بعد هذا العرض الموجز لمحتويات كتاب اللغة العربية للسنة الرابعة ابتدائي، مع محاولة رصد أهم مبادئ البيداغوجيا الفارقية والمقاربة بالكفاءات التي اعتمد عليها مؤلفوه، خلص المقال إلى النتائج الآتية:

¹ - مر. ن، ص 82.

² - كتاب اللغة العربية السنة الرابعة من التعليم الابتدائي، ص 86.

- ✓ من حيث مبادئ البيداغوجيا الفارقية؛ فقد اعتُمد مبدأ التّنويع في اختيار موضوعات التّصوص والظّواهر اللّغوية المقررة، والتّنويع في طبيعة التّشاطات والتّدريبات الخاصة بدفتر الأنشطة، ضف إلى ذلك اعتماد مبدأ التّدرج من خلال الانتقال من السّهل إلى الصّعب ومن البسيط إلى المعقد، في توزيع محتوى الكتاب المدرسي ودفتر الأنشطة التّابع له.
- ✓ كما جُسّد مبدأ التّفريد والتّفريق من خلال وضع أهداف تعليمية متنوّعة، ومراعية لجّلها للفروق الفردية للمتعلّم، ومنمّية لكفاءاته التّواصلية والمعرفية.
- ✓ من حيث مبادئ المقاربة بالكفاءات؛ فقد اعتمد واضعو المنهاج على مبدأ التّطبيق الذي يفضي إلى توظيف المتعلّم لمعارفه ومكتسباته في التّفاعل مع الأنشطة التّعليمية، أضف إلى ذلك توظيف مبدأ التّرابط الذي يقوم على ربط أنشطة الكتاب المدرسي بالتّدريبات الواردة على دفتر الأنشطة. ولمسنا أيضا مبدأ التّكرار الذي توفّر بنسبة معتبرة، لا سيما في دروس القواعد والأنشطة المتعلّقة بكل ظاهرة لغوية، وربما الغرض من ذلك ترسيخ معلومات المتعلّم ومعارفه عن طريق الدّربة والمران.
- ✓ تتفق الدراسة مع ما أكّده دراسة سابقة -كتاب اللغة العربية في ظل إصلاحات الجيل الثاني "السنة الرابعة ابتدائي" أمودجًا- من أن الكمّ المفرداتي لنصوص كثيرة واردة في الكتاب يتجاوز الحدّ الموصى به في المنهاج ودليل استخدام الكتاب، وفي هذا إخلال بأحد أهم مبادئ البيداغوجيا الفارقية والمقاربة بالكفاءات؛ اللّتان تنصّان على ضرورة مراعاة المستوى اللّغوي، والعقلي للمتعلّم في صياغة المحتوى التعليمي. ونضّم صوتنا إلى صوتهم في الدعوة إلى ضرورة مراجعة الكتاب المدرسي، ومطابقته مع ما معطيات المنهاج الذي ينبنى أساسًا على مبادئ بيداغوجيا المقاربة بالكفاءات، لا سيما أن الكتاب المدرسي يعدّ المترجم الأساسي للمنهاج.

7. المصادر والمراجع:

• الكتب:

- * إبراهيم بن عمارة، المتميز في علوم التربية، متوسطة أبو كامل شجاع بن أسلم، بوسعادة، مديرية التربية لولاية المسيلة، الجزائر، 2018، ص19.
- * جميل حمداوي، مكونات العملية التعليمية التعلمية، شبكة الألوكة، ط1، 2015.
- * جميل حمداوي، البيداغوجيا الفارقية، مكتبة المثقف، الجزائر، ط1، 2015.
- * رجيم يونس كرو العزّاوي، مقدّمة في منهج البحث العلمي، دار دجلة، عمان، الأردن، ط1، 2008.
- * رضوان العثماني، بيداغوجيا المسارات أو الفارقية، مجزوءة تدبير التعلّمات، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، وجدة، المغرب، 2015.
- * سهام مرداد، معجم مصطلحات التربية والتعليم، مدونة معلمي، 2015.
- * محمد سليمان، سيكولوجية الفروق الفردية وقياسها، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 2003.

• المقالات والمداخلات:

*حميدة عمارة، مقارنة التدريس بالكفاءات وكفايات التدريس (من المفهوم إلى التقويم)، مجلّة جسور المعرفة، جامعة الشلف، الجزائر، ع3، 2015.

*رحيمة شرقي، بوساحة نجا: بيداغوجيا المقاربة بالكفاءات في الممارسة التعليمية، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ورقلة، الجزائر، ع4، جانفي 2011.

*زهية حيتة، والسعيد بن إبراهيم: كتاب اللغة العربية في ظل إصلاحات الجيل الثاني "السنة الرابعة ابتدائي أنموذجًا"، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة باتنة 1، الجزائر، م14، ع02، ديسمبر 2021.

*فضيل الرتيمي وصليحة لكحل، طرائق بيداغوجيا التربية والمقاربة بالكفاءات بين النظري وصعوبات التطبيق، مجلة دفاتر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، ع9، 2012.

*البيداغوجيا الفارقية والمعالجة التربوية، الملتقى التكويني، مديرية التربية لولاية الجلفة، مفتشية التربية والتعليم الأساسي، المقاطعة الثانية، حاسي بجبج، الجلفة، الجزائر، (د. ط)، 2010/2009.

• الوثائق البيداغوجية:

*وزارة التربية الوطنية: دليل استخدام كتاب اللغة العربية للسنة الرابعة ابتدائي، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، الجزائر، 2017.

*سراب بن الصيد بورني وآخرون، كتاب اللغة العربية السنة الرابعة من التعليم الابتدائي، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، الجزائر، 2020/2019.